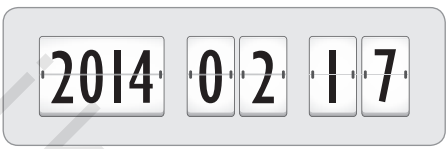

في وزارة الخارجية، كانت كوندوليزا رايس التي ليست شخصيتي المفضلة، سَلَفي، وجاء جون كيري بعدي، لم أكن إلا المرأة الثالثة التي شغلت المنصب في تاريخنا كله، كذلك كنت السيدة الأولى الوحيدة في الولايات المتحدة التي غدت عضوًا في مجلس وزراء الولايات المتحدة، ليس سجلًا سيئًا بالنسبة إلى فتاة لم تتجح قط نجاحًا يكفي لإرضاء أبيها! ما الذي كان يمكنك أن تقوله تعليقًا يا بابا؟ أنا واثقة من أنك كنت ستقول: كان يتعين عليك أن تصبحي رئيسة للجمهورية!

جلسات استماع التثبيت في لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ بدأت في الثالث عشر من كانون الثاني/يناير عام 2009م، قبل تنصيب أوباما بأسبوع واحد، أتذكر بعض ما قلته في تلك الجلسات مثل: «أعتقد أن الطريقة الفضلى لخدمة مصالح أمريكا في اختزال الأخطار الكوكبية، والإفادة من الفرص المتاحة على النطاق العالمي، هي المبادرة إلى تصميم حلول كوكبية وتطبيقها، علينا أن نستخدم ما باتت تعرف باسم (القوة الذكية) مجمل طيف الأدوات التي هي تحت تصرفنا– الدبلوماسية، والعسكرية، والاقتصادية، والسياسية، والحقوقية، والثقافية– وموظفو الأداة أو باقة الأدوات المناسبة لدى التعامل مع

كل حالـة؛ فمـع القوة الذكية سـتكون الدبلوماسـية طليعة سياسـتنا الخارجية». رغـم كرهـي العميـق جدًّا للحـرب، كنـت في الصـف الأمامي لتجـاوب الولايات المتحـدة مع الربيع العربي، مع تلك الموجة الثورية من المظاهرات والاحتجاجات اللاعنفيـة والعنيفـة في العالم العربـي التي بدأت في كانون الأول/ديسـمبر عام 2010م، لاحقًـا دفعـت نحـو التدخل العسـكري في ليبيـا؛ لاعتقادي أن من شـأن الانخـراط العسـكري المبكـر أن يحـول دون وقـوع كارثـة شـبيهة بالهولوكوسـت لاحقًا، من المؤسـف أنه لم يفعل، مع أنه يسـرني أن أفيد بأنه أسـهم في الإطاحة بدكتاتور ليبيا الفاسد معمر القذافي في عام 2011م.

مـا إن اكتسـبت قـوات القـذافي مزيدًا من الزخـم حتى باتت تهـدد بارتكاب مجازر ضد مواطنين أبرياء أوائل عام 2011م، أعرب عدد من مستشاري أوباما النافذيـن بمـن فيهم مندوبة أمريكا في الأمم المتحدة سـوزان رايـس ومسـاعدا الأمن القومي بن رودس وسـامانتا باور، عن تأييدهم لشـن ضربات جوية، ومع أن أكـثر مـن ثلثي الرأي العام كان معارضًا لرأيهـم، فإنني التحقت بركب دعاة التدخل، على الدوام ظلت فلسفتي قائمة على أن الدبلوماسية، والتنمية، وعملية الدفاع، لا تكون فاعلة وناجحة ما لم تُستخدم معًا، لعل ذلك يُذكِّر بحكمة «تكلم بنعومة واحمل عصا غليظة» المنسوبة إلى تيودور روزفلت.

كان ثمة أمر غريب حول المبادرة المباغتة للشعوب كلها في تونس، وسـوريا، ومصر، واليمن إلى إطلاق سلسلة من الثورات معًا في الوقت نفسه، على الدوام يسألني الناس: ما الذي حلَّ بهم؟ جوابي هو أن هذا كله كان يغلي تحت السطح منـذ زمن طويل، ولم يكن أحد قد تنبـأ بحدوث هذه الانفجارات المتزامنة كلها، إلا أن تحذيـرات كانـت تطلـق منذ سـنوات حول كون المنطقة شـديدة الهشاشـة وعـدم الاسـتقرار؛ فحالـة الفقـر، وأنظمـة الحكـم الدكتاتوريـة، والانفجـارات السـكانية، والبطالـة المتفشـية بقسـوة تشـكل خلطـة متفجرة، لم تكـن الولايات المتحـدة عاكفـة على التخطيط لاعتماد مقاربة إسـتراتيجية شـاملة إزاء الربيع العربي، بل تعاملت مع الوضع المختلف لكل بلد على نحو منفصل.